

الصحافة بين شمس بغداد المخطوفة وتفخيخ بيروت!

أن أوبيناس امرأة، وأن الدين الإسلامي يأمر بأن تعامل معاملة خاصة. يصعب ألا تثير هذه الأمور إحساساً بأن خاطفي أوبيناس «خطفوا» أمة بأكملها، بالمعنى الثقافي. ماذا لو لم تكن متعاطفة مع قضية العراق والعرب والمسلمين. هل كان مثقفو هذه الأمة المقهورة ليقبلوا خطفها؟ لو أن أوبيناس جاءت من نيويورك، لتؤدي مهمتها الصحافية في تغطية أعمال الخطف والتفجير الإرهابية التي تمارسها الجماعات الأصولية في العراق، هل يكون اختطافها عندئذ مقبولاً؟ من المهين أن تسمع من مثقفي أمة كلاماً يكشف ضحالة الثقافة الديمقراطية لدى النخب التي تُعقد عليها الآمال. كم كشف خطف هذه الصحافية صحارى شاسعة في الفكر والثقافة العربيين!

بات نافلاً القول إن مهنة الصحافة تمر في واحدة من أشد أزماتها سوءاً. لم يؤد التطور الديموقراطي، والتقدم في وسائل التكنولوجيا الإعلامية، سوى إلى شدّ الحبل على أعناق العاملين في الصحافة، بما في ذلك الصحافة التلفزيونية. شكلت الحرب على العراق قفزة نحو الهاوية. وكأنه لا يكفي أن الصحفي بات موضعاً للمنع والاعتقال والحرمان من الحرية، بل صار أيضاً عرضة للخطف والقتل والذبح. ومع استشهاد الزميل سمير قصير، أضيف التفخيخ والتفجير إلى الأفق المرعبة المتربصة بهذه المهنة. ومع اغتيال الصحفي قصير، بدت بيروت (بل ولبنان) مخطوفة على يد إرهاب «خفي». ومع الحريري وقصير وأوبيناس، يبدو وكأن الخيوط التي تصل بين بيروت والعراق أكثر من أن تحصى...

عسان رزق

«فلورنس، لتكن شمس بغداد لطيفة على جيبك.. فلورانس، لتكن مياه دجلة عذبة على شفطيك». بصوت إلهام المدفعي، وبإدعاء يشبه الجاز الحزين، تنطلق تلك الكلمات مغناة، بصورة يومية قبل نشرات الأخبار الرئيسية على إذاعة «مونتي كارلو». يلي الأغنية صوت يعلن: «مضى (كذا) يوم على اختطاف زميلتنا الصحافية فلورانس أوبيناس، ومرافقها العراقي حسين حنون السعودي، في العراق». ويسبقها، غالباً، رسالة صوتية من مثقف عربي فرانكوفوني ممن يعيشون في أوروبا، وخصوصاً في فرنسا. لا تقتصر الرسائل الصوتية على العرب. فمثلاً، من الصعب نسيان الرسالة التضامنية التي بثها الزميلان الصحافيان اللذان كانا مختطفين في العراق، كريستيان شينو وجورج مالبرونو، والتي أذاعها الأول بصوت يجيد العربية من «مونتي كارلو». طورت الإذاعة هذا «الجنريك» الصوتي تدريجياً. فقبل، اكتفت بالإعلان عن عدد الأيام والليالي التي انقضت على اختطاف أوبيناس، الصحافية من جريدة «ليبراسيون» اليسارية الفرنسية، في العراق. وفي تذكيرها العددي بالأيام التي انقضت على الجريمة، بدت «مونتي كارلو» قريبة مما تدأب عليه شاشة «المستقبل» من بث للأيام التي انقضت على اغتيال الرئيس رفيق الحريري ورفاقه. ثم أضافت الإذاعة بثاً يناشد كل من يستطيع المساهمة في تحرير الصحافية المخطوفة بالتحرك. ثم أضيفت الرسائل الصوتية من مثقفين متعاطفين مع أوبيناس.

والحال إن الرسائل الصوتية للمثقفين العرب والتي تبثها «مونتي كارلو»، تحتاج إلى قراءة ثقافية نقدية. إذ تركز كثير منها على أن الصحافية اليسارية صديقة للعرب، ومن بلد ناهض الحرب الأميركية على العراق. ويذكر بعضها



سمير قصير